مجلة التراث العلمي العربي فصلية ، علمية ، محكمة العدد الرابع –2011م

دور قريش التجاري في غرب جزيرة العربقبيل الاسلام

أ.د جاسم صكبان علي

كلية التربية للبنات

جامعة بغداد

(**خلاصة البحث**)

ان نظام الحُمس وحلف الفضول والايلاف كانت مؤسسات اجتماعية اقتصادية يكمل بعضها البعض .وهي مظهر من مظاهر الوحدة الاقتصادية التي مهدت السبيل وهيئة الاذهان للوحدة السياسية التي حققها العرب بظهور الاسلام .

ان ذكر الايلاف في القرآن الكريم دليل على اهميته في حياة العرب قبل الاسلام. وقد ادركت الدول الكبرى اهمية التجارة العربية في حياتها فاعطت العرب الامان والعصم .وقد اثبت العرب قدرتهم في تهيئة الامن والاستقرار في بلادهم بعد ان فشلت الدول الكبرى في تحقيق ذلك .وقد برز دور قريش في هذا المجال .

ولم يكن المجتمع المكي خالياً من النزعات الانسانية والخيرة التي بذلت جهوداً باطعام الفقراء ، وايجاد فرص العمل لهم باشراكهم في تجارة الاغنياء .

ومن الضروري اعادة النظر في بعض الروايات التاريخية عن عرب ما قبل الاسلام ، والتي كتبت في العصر الاسلامي مشحونةً بسلبيات هذا التاريخ . دون الاهتمام بايجابياته او الروايات التي طمست الصفحات النيرة من هذا التاريخ رغبة في نسيان كل ما له علاقة بتاريخ عرب ماقبل الاسلام . ولم يكن الايلاف وليد ظروف انية بل كان مدروساً دراسة مستفيضة وقد مهد له بنظام الحُمس .

المقدمة

كانت جرهم تحكم مكة ،ثم ازاحتها خزاعة وحكمت مكة اكثر من 300 سنة .ثم برزت قريش في حدود منتصف القرن الخامس الميلادي ،بزعامة قصي وتمكنت من حكم مكة فاصبح قصي زعيمها[1] .وتنازع ابناء قصي حول السيادة على مكة ثم اتفقوا على ان تكون الحجابة واللواء ودار الندوة لبني عبد الدار ،وتكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف .

تولى هاشم بن عبد مناف الرفادة والسقاية ،فاهتم بتوفير الطعام والماء للحجاج . وتولى المطلب بعد اخيه هاشم هذه المهمة .ثم بعده اخيه عبد المطلب الذي بنى لقريش دار الندوة عام 440 م[2].

لقد كانت مكة جمهورية من نوع الحكومات التي كانت في بلاد العرب .واولوا احترامهم لجزء من الارض المجاورة للكعبة ،وقدسوه واعتبروه محرماً لايجوز القتال فيه وجعلوا على عاتقهم حمايته.

ومالت قريش في حياتها السياسية الى الديمقراطية ،حيث كانت دار الندوة تشبه البرلمانات المعاصرة ،اذ لم يكن لاحد من قريش ان يستبد برأيه او ينفذ امراً الا بعد ان تعرض الامور على وجهاء قريش في هذه الدار . وكان عبد المطلب زعيم دار الندوة الروحي بأعتباره زعيم قريش .كانت هذه الدار دار حكومة مكة تقع جنوب غرب الكعبة.وكان وجوه قريش الذين لاتقل اعمارهم عن 40 سنة[3] يجتمعون فيها للتباحث فيما بينهم من شؤون .وكانت هذه الدار مكان انطلاق قوافل قريش التجارية وعندها تنتهي[3أ] .وفيها اجتمع الوثنيون لتدبير مؤامرة قتل الرسول(ص) قبل الهجرة[4].

ولو قارنا ديمقراطية قريش بأرستقراطية الفرس والروم المعاصرة لادركنا سبق العرب في هذا المجال .لقد كانت جمهورية مكة دولة من دول المدن ،وهي تختلف عن الدول المعاصرة لها ،كما تختلف في شكلها عن اشكال الحكم المختلفة التي عرفتها القبائل العربية . وكانت تتبع في حكمها نظام ابوة او سيادة الرجل ،فكان لمكة او لقريش زعيم بارز يخضع له الجميع[5].

تقع مكة في وادي غير ذي زرع . تحيطها الجبال من جميع الجهات ،لكنها اكتسبت بفعل موقعها الجغرافي اهمية تجارية ؛ اذ كانت حلقة وصل بين جنوب جزيرة العرب والشام والعراق والحبشة ،كما حظيت باحترام العرب لها؛لقدسيتها كل ذلك جعل اهلها يمتهنون التجارة او التوسط في التجارة .

ولأجل ان تستمر التجارة وتتطور كان لابد لقريش ان توفر الامن والنظام فيها ؛ بغية تشجيع التجار للقدوم اليها . فاوجدت مجموعة من النظم وعقد مجموعة من المعاهدات والاحلاف بينها وبين القبائل العربية .وبينها وبين دول العالم كالبيزنطيين والفرس .

كان نظام الحُمس اول هذه النظم .وهو اسم اطلق على قريش كلها وخزاعة لنزولها مكة ،وكذلك كل من ولدت قريش واحلافها من العرب ،وكل من نزل مكة من قبائل العرب[6]ويطلق لفظ الحُمس على سكان الحرم[7] وهو امتياز لأبناء الوطن واهل الحرم وولاة البيت وسكان مكة وساكنيها [8]،وهم النخبة التي تمتاز بصلاتها الوثيقة بالمكيين عن طريق طقوسهم وعاداتهم[9].

وكانت قريش قد ابتدعت امر الحُمس حيث قالت نحن ابناء ابراهيم واهل الحرمة وولاة البيت وقاطني مكة وساكنيها ،فليس لاحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولاتعرف له العرب مثل ما تعرف لنا .فلا تعظموا شيئاً من الحلِ كما تعظموا الحرم ، فانكم ان فعلتم ذلك استخف العرب بحرمتكم وقالوا :– قد عظموا من الحلِ مثل ما عظموا من الحرم. [10]ولذلك فقد ترك الحُمس الوقوف بعرفة لانها خارج عن الحرم والافاضة منها مع اقرارهم بأنها من المشاعر ودين ابراهيم. ويرون لسائر الناس ان يقفوا عليها ويفيضوا"11" وحملوا على ذلك العرب فدانت به[12].

وكان الحُمس قد شددوا على انفسهم في دينهم ،فكانوا اذا نسكوا لم يسلوا سمناً ولم يطبخوا .[13]وكانوا لا يستظلون ايام منى ولايدخلوا البيوت من ابوابها ولا يأتون عرفة[14].ولا يدخلون بيوتاً من شعر ولا يستظلون الا في بيوت من الادم ما كانوا حرماً [15]ولا يلتقطون الجلة[16].وقالوا لا ينبغي لاهل الحل ان يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل في الحرم اذا جاءوا حجاجاً او عماراً ولا يطوف بالبيت طوافهم اذا قدموا الا في ثياب الحُمس .فان لم يجدوا طافوا بالبيت عراة ،فان انف احد من عظمائهم ان يطوف عريان اذا لم يجد ثياب الحُمس طاف في ثيابه والقاها اذا فرغ من الطواف ولا يمسها هو ولا احد غيره .وكانوا يسمونها اللقى فدانت العرب لهم بذلك .فكانوا يطوفون كما شرعوا لهم ويتركون ازوارهم التي جاءوا بها من الحل ، ويشترون من طعام الحرم ويأكلون . اما النساء فكانت المرأة تضع ثيابها كلها الا درعها مفرجاً ثم تطوف فيه وتقول :

اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله

ثم جاء الاسلام فنسخ ذلك وافاض الرسول من عرفات ، وطاف الحجاج بالثياب التي معهم من الحل واكلوا من طعام الحل في الحرم ايام الحج .وانزل الله تعالى :-"ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم"[17] .وقد اراد الله بالناس العرب .امر قريشاً ان يفيضوا من عرفات وانزل الله تعالى في اللباس والطعام الذي من الحل وتركهم اياه في الحرم . قال تعالى :-"يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا..."[18].وكان هناك من يطوف بالبيت عريان وقد سموا باسم الحلة [18أ].وهناك من يطوف بثيابه فيسمون باسم الطلس [18ب].ان الطقوس التي اوجدها اهل الحُمس تشير الى شدة ارتباطهم بالكعبة وتمسكهم بحرية البيت الحرام ،وتعظيمه كل ذلك ليزيد في شرفهم وشرف البيت .

ويلاحظ المطلع على قائمة الحُمس في كتاب المحبر ان القبائل المنظمة الى الحُمس كانوا من اصول مختلفة ،وقبائل متعددة ،فكلب ترجع على قضاعة وتعود عدوان الى قيس عيلان ،وعامر بن صعصعة كانوا من مضر ،وكانت خزاعة من جنوب الجزيرة .[19]وقد عاشت هذه القبائل في مناطق مختلفة من جزيرة العرب؛ فقد كانت كنانة في جنوب مكة مسيطرة على طريق مكة ـ اليمن في حين كانت ثقيف في جنوب شرق مكة . وسكن بنو عامر بن صعصعة في شمال شرق مكة . اما قضاعة ففي الشمال مسيطرة على الطريق التجاري الى الشام ،وسكنت يربوع ومازن على طريق الحيرة وفارس.

ويشير التوزيع الجغرافي لهذه القبائل الى الاهمية التجارية لنظام الحُمس حيث سكنت القبائل المنظمة للحُمس على الطريق التجاري المهم والمؤدي الى مكة .

كان الحُمس لايعتدون في الاشهر الحرم على احد ،ولايستاقون مالاً اعظاماً للشهر الحرام[20]. وتركوا الغزو واستحلال الاموال واستحسان الغصوب[21].

ان الغرض من التحمس هو اعزاز اهل الحرم ،وضمان سلامة القادمين اليهم ، والحجز مابين الاعداء ،ولهذا يعني التحمس اقرار لفكرة الوطنية بالانتساب للبقعة ، وامتياز لمن له هذا الحق . ولما كانت قبائل الحُمس على هذه الحالة من القوى لم يبق امامهم كسبٌ سوى التجارة فضربوا في البلاد الى قيصر الروم و الى النجاشي بالحبشة والمقوقس بمصر وصاروا بأجمعهم تجاراً خلصا[22].

وقد عرف اهل الحُمس بالشجاعة اذ كانوا شجعان العرب الذين لا يطاقون . فالحُمس اذن نظام قائم على تقديس الاشهر الحرم ،لضمان سلامة التجارة وديمومتها، واكساب مكة حرمةً

وقدسية حمايةً للامن وضماناً لارواح القادمين اليها. ولم تكن عقيدة الحُمس قديمة فهي لا تتعدى عام الفيل اي حوالي 570 م او بعده .

وثمة نظام اخر للسلم ابتدعته قريش اسمه الايلاف ،ويبدو ان هذا النظام اقيم على اساس الحُمس ؛ لان الحُمس كان له مغزى اقتصادي رغم وضوح الصبغة الدينية. اما لفظة ايلاف فلها معاني متعددة وردت في المضان المختلفة ، ففي لسان العرب تعني الاستجارة . العهد والذمام . الجمع بين المرحلتين[(24)] .وفي تاج العروس تعني العهود التي كانوا يأخذونها في التجارات فيأتمنون بها [(25)]. وفي القاموس المحيط تعني العهد وشبه الاجازة بالخفارة ،واول من اخذها من العرب هاشم. [(26)]وفي النهاية العهد والذمام[(27)] .وجاء في الفائق للزمخشري[(28)]:–الايلاف /الحبل اي العهد الذي اخذه هاشم بن عبد مناف من قيصر واشراف احياء العرب لقومه بأن لا يتعرض لهم في رحلاتهم التجارية[(29)].

وعلى رأي القالي فان الايلاف كان بين العرب انفسهم ،وكان مبدعه هاشماً الذي قدم من ارض قيصر ،وجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام اخذ من اشرافهم ايلافاً. والايلاف ان يأمن التجار القرشيون عنده في ارضه بغير حلف ،انما هو امان الطريق على ان قريشاً تحمل اليهم بضائعهم فيكفونهم حملانها ويؤدون اليهم رؤوس اموالهم وربحهم .وسمى القالي الاتفاقات التي جرت مع العجم وقيصر وملوك اليمن والحبشة وكسرى عهداً ولا يتعدى مضمون العهد الامان[(29أ)].

روى ابن حبيب في المنمق :–كتب هرقل الى هاشم كتاباً "يأمن من ابقى منهم من اشرافهم ايلافاً ، فالايلاف ان يأمنوا عنده في ارضهم بغير حلف انما هو امان الناس وعلى ان قريشاً تحمل لهم بضائعهم فيكفونهم حملانها ويردون اليهم رأس مالهم وربحهم فهذا الايلاف..."[(30)].

يظهر من هذا النص ان الايلاف يتضمن امان العرب وغير العرب لتجار قريش على السواء. ويكاد هذا النص ان يكون متطابق مع نص القالي الا في موضع واحد هو ان ابن حبيب عرف الايلاف بانه الامان من العرب والاعاجم وان كان قد عاد فأكد انه امان من العرب وحدهم ،ويبدو ان يد النساخ قد حرفت نص ابن حبيب او وان الذاكرة قد خانت رواته . اما نص القالي فيظهر انه اكثر انسجاماً و اصح لغةً ومن المرجح انه اقرب الى الصواب .

جاء في شرح نهج البلاغة :–" لقد علمت قريش ان اول من اخذ الايلاف واجاز لها الميراث هاشم ...فذكر لقيصر فلما رأه سأله ان يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر وان يكتب لهم كتاب الامان فيما بينهم وبينه"[(31)].

ويبدو ان نص ابن ابي الحديد مختصراً ،ولم يرد فيه لفظ ايلاف الا في مطلعه. وختم بلفظة امان لكنه لا يخرج عن النصين السابقين في روحه والفاظه .

ولم يفسر احد من المفسرين الايلاف بمعنى "الامان بغير حلف" عدا الالوسي الذي استفاد من ابن حيان [32].فقد فصل الطبري لايلاف قريش بمعنى نعمتي على قريش [33]. وفسرها ابن كثير بمعنى "اي لأتلافهم واجتماعهم في بلدهم امنين"[34].

وجاء في تفسير البغوي ، كانت قريش في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين ،وكانوا يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم[35].

ويعطينا ابن ابي الحديد تفسيراً اخر للفظة ايلاف فيقول :–"... ان هاشماً جعل على رؤوس القبائل ضرائب يؤدونها اليه ليحمي بها مكة ...لاسيما وناس من العرب كانوا لايرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدراً مثل طي وختعم وقضاعة وبعض بلحارث بن كعب [36].

ويؤكد الثعالبي ان الايلاف اخذ من الاعداء ؛ ويعني مبلغاً من المال يمنحه هاشم الى رؤساء القبائل كأرباح ويتعهد هاشم بنقل بضائعهم مع بضائعه وبذلك يريحهم من مشاق السفر فيربحون دون عناء وتتخلص قريش من خوف الاعداء وبذلك يبيع الطرفان[37].

ويطلق البلاذري على الايلاف تعبير عصام وهي رخص الحكام ؛ ذكر ان نوفل ابن عبد مناف كان قد حصل على عصام من ملوك العراق [38].اما الطبري فانه يطلق لفظة عصام وحبل للدلالة على الرخصة ؛فقد روى ان نوفلاً حصل على الحبل من الاكاسرة وكان تجار قريش يترددون على العراق وفارس وكان الاخوة الاربعة اول من اخذ لقريش العصم [39].

وورد في شرح الازهري في تعليقه على معاهد التنصيص بان الايلاف يعني "شبه الاجارة بالخفارة"[40].وعند المسعودي ان الايلاف هو "الامن" [41] .ويرى الكلاعي انه "امان الطريق عند مرور التجارة باحياء العرب"[42].

وعلى كل حال فان الايلاف يعني قبول القبائل العربية التي تمر بها قوافل قريش لنظام مكة السلمي والاعتراف بمكانة قريش وتجارتها ،واقامة نوع من التعاون الاقتصادي المبني على المصلحة المتبادلة .ويبدو ان هذا الامر لم يكن معروفاً حتى ذلك الحين .

وهناك مجموعة من القبائل عملت على مساعدة الايلاف في تنفيذ مهمته . وقد سمي هؤلاء باسم الاحابيش .وهم على رأي الدينوري عرب من بني المصطلق والحيا بن سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمة . وقد اجتمعوا بذنب حبش ،وهو جبل بأسفل مكة ،وتحالفوا بالله بانهم ليد على غيرهم ما سجا ليلٌ ووضح نهارٌ وما رسا حبش مكانه. وسموا احابيش لاجتماعهم والمتجمع في كلام العرب هو التحبش(43).

وقد عرف اصحاب الايلاف وهم الاخوة الاربعة باسم المجيرين .اذ كانوا يؤلفون الجوار ويتبعون بعضه بعضاً ،يجيرون قريش ويجيرون فقيرهم(44).

هناك صلة بين نظام الايلاف ونظام الحُمس .ان عبارة ان هاشماً "اخذ الايلاف من الاعداء"(45) قد تعني ان الايلاف كان مكلملاً لنظام الحُمس. والمقصود بالايلاف القبائل التي لم تكن تحترم الاشهر الحرم ـ رغم قيامها بالحج ـ وكانت تحت تأثير الجماعات الموالية للدول الاجنبية مثل طي وخثعم وافخاذ من قضاعة (46). وغفار من كنانة (47) وقد اعطيت هذه القبائل نصيباً من الارباح لتدع القوافل امنة .ويعني الحُمس اناساً شديدي الاعتقاد باهمية وقدسية مكة وتمييز قريش متمسكين بأوثانهم الخاصة في طقوس الحج ومستعدين للذود عنها ، مما يجعل كلمتهم مسموعة بين العرب.وعلى كل حال لما كان الحُمس يدعوا تقديس الاشهر الحرم لضمان الامن والسلام داخل مكة خدمةً للتجارة فانه يكمل الايلاف الذي يهدف الى حماية القوافل التجارية من الاعتداء.

ولم تكتفِ قريش بذلك بل تحالفت احلافاً كثيرة على الحمية والمنعة فتحالف المطيبون وهم بنو عبد مناف وبنو اسد وبنو زهرة وبنو تميم وبنو الحارث بن فهر على ان لا يسلموا الكعبة وعلى ان يمنع بعضهم بعضاً ويعقل بعضهم عن بعض ، وذلك لوجود جماعة من قريش كانت تظلم الغريب في الحرم ومن لا عشيرة له . فقد اتى رجل من بني اسد بن خزاعة بتجارة فاشتراها رجل من بني سهم دون ان يعطي التاجر ثمنها .فكلم التاجر قريشاً واستجار بها وطلب المعونة على اخذ حقه دون ان يستجيب له احد .فصعد الاسدي ابا قبيس ونادى باعلى صوته :

يا ال فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة ناءِ الاهل والنفرِ

ان الحرام لن تمت حرامته ولا حرام لثوب لابس الغدر

وفي رواية ان الرجل كان قبيس بن شيبة السلمي باع متاعاً من ابي خلف الجمحي وذهب بحقه فقال هذا الشعر:–

يا ال قصي كيف هذا في الحرم

وحرمة البيت وأخلاق الكلام

اظلم ولا يمنع مني ظلم

فقال ناس من قريش ،تعالوا فلنكن حلفاء فضولاً دون المطيبين ودون الايلاف فأجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان . اجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب وزهرة واسد وتميم ،وتحالفوا على ان لا يظلم بمكة قريب ولا غريب ولا حر ولا عبد الا كانوا معه حتى يأخذ له حقه ،ويردوا اليه مظلمته من انفسهم او من غيرهم.وقد اعطوا الرجل حقه فمكثوا لا يظلم احد حقه بمكة الا اخذوه له(48).

وقيل ان الرجل من بني زبيد ،وان الذي اشترى البضاعة منه رجل من بني سهم؛ ويقال انه العاص بن وائل فلوى الرجل بحقه فجاء بني سهم يستنجد بهم عليه ، فأغلظوا له فطوف في قبائل قريش يستعين بهم ،فتخاذلت القبائل عنه ،فلما رأى ذلك قام على الحجر، ويقال فأشرف على ابي قبيس حيث اخذت قريش مجلسها ثم نادى بأعلى صوته(49):-

يا ال فهـر لمظلوم بضاعته ببطن مكة ناءِ الدار والنفرِ

واشعث بحرمٍ لم يقضِ حرمت بين الالهة وبين الحجر والحجر

أقائمٌ من بني سهم برمتهم ام ذاهب في ظلال مالٍ معتمر

وفي رواية اخرى ان التاجر من بني زبيد وان الذي خذله هم الاحلاف عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدي بن كعب ،فأبوا ان يعينوا على العاص ،فانتهروه فلما رأى الشر رقى على ابي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة فقال بأعلى صوته(50):-

يا ال فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة ناءِ الدار والنفرِ

ومحرم اشعث لم يقضِ غرته ياللرجل بين الحجر والحجر

ان الحرام لن تمت مكارمه ولا حرام لثوب الفاجر والغدر

وقد سمي هذا الحلف باسم حلف الفضول لفضله وفضيلة اهله (50أ).وهناك اسباب اخرى لهذه التسمية(50ب).

لقد كان حلف الفضول امتداداً لحلف المطيبين لان الذين انظموا اليه هم نفس البطون التي كانت في حلف المطيبين عدا بعض عشائر عبد مناف ،وهم بنو نوفل وبنو عبد شمس الذين اصبحوا بعد ذلك من العشائر الغنية التي انحازت الى الفريق الاخر تحقيقاً لمصالحها(50ج).

تزعم رجال مكة هذا الحلف لاعادة الامن والاستقرار الى مكة التي تعتمد على التجارة ودخلها من الحجاج وزوار البيت ؛ اذ لم يكن من مصلحة قريش وبقية سكان مكة ان تنتشر الفتن والاعتداءات في مدينتهم وحولها ،وقد استفادوا من عبرة حرب الفجار واضرارها.

ومن هنا يظهر ان دوافع حلف الفضول هي حماية حقوق التجار القادمين الى مكة مما يضمن لقريش اسباب الرزق في التجارة الداخلية ؛ لذلك وقفوا بوجه كل من يريد ان يعرقل هذه التجارة او يحد من نشاطها .واذا كان حلف المطيبين قام لتقسيم المناصب الامر الذي يؤدي الى استقرار الوضع الداخل في مكة ،فان حلف الفضول قام لاقرار الامن والاستقرار والعدل وضمان التجارة الداخلية في مكة ذاتها وظل مفعوله حتى بعد الاسلام ؛ فقد التجأ اليه الحسين بن علي(عليه السلام) في نزاعه مع الوليد بن ابي عتبة بن ابي سفيان والي المدينة .وقد استجاب اطراف الحلف لنصرة الحسين(عليه السلام) فاضطر الوليد الى انصافه[50].

وروي ان الزبير بن عبد المطلب عم النبي(ص) هو الذي دعا القوم الى دار عبد الله بن جدعان فكان من اجتماعهم عقد هذا الحلف [51] وروي ان العباس عم النبي(ص) هو الداعي الى ذلك .وجاء ايضاً ان الداعي اليه كان ابا سفيان[52].

ويبدو ان كتابة اسم الزبير والعباس وابي سفيان تم فيما بعد لاهداف عصبية وسياسية ايام الامويين والعباسيين ؛نظراً لاهمية حلف الفضول ولما لهذا الاقحام من اهمية سياسية في سياسة العالم انذاك.

وقد انتبه اعضاء حلف الفضول الى مشكلة الفقراء القادمين الى مكة ،وما يمكن ان يجره فقرهم من اعتداء على التجارة ، ويسبب فوضى تعرقل امرها ،فتعهدوا بمساعدة المحتاجين القادمين الى مكة من فضلة مال القوم الداخلين في الحلف وذلك بـ" التأسي في المعاش " [53]. ولذا فانهم "اخرجوا فضول اموالهم للاضياف"[54].و تعهدوا "ان لا يتركوا لاحد عند احد فضلاً الا اخذوه"[55]. والفضل هنا هو فضلة مال الاعنياء الداخلين في الحلف.

واذا كان الايلاف قام ليضمن سلامة مرور القوافل التجارية من الشام واليمن والعراق والحبشة الى مكة ،فان حلف الفضول قام ليضمن سلامتها من مكة وهذا يعني ان الايلاف وحلف الفضول يكمل بعضهما البعض الاخر.

تكمن الاسباب الداعية لايجاد الايلاف في رغبة قريش بتأمين طرق تجارتها لضعف مملكة الحيرة التي اصبحت ليست اهلاً للثقة حيث لم ينجح حكامها في تأمين طرق التجارة من مكة الى الحيرة ،مما جعل القبائل تتطلع الى كيان سياسي خاص بها بعد ان خاب املها بسياسة دولة الحيرة ، وشعرت بضعف ولائها لهذه الدولة، فبرزت حكومة مكة بدلاً من دولة الحيرة . واذا اخذنا بنظر الاعتبار ضعف الدول المحيطة بالعرب ،وانشغالها في حروب متكررة وما نتج عنها من فوضى واضطرابات عرقلت التجارة . بانت لنا اهمية حكومة مكة.

وكانت بعض القبائل العربية لاتحترم الاشهر الحرم ،مما جعل قريش تنحصر في مكة ولا تفارق هذا المكان ، ولا تتعامل قريش الا مع التجار المترددين على سوق عكاظ ،وذي المجاز ،خلال الاشهر الحرم . ورغبة من قريش في توسيع تجارتها وخروجها الى عالم واسع ،اخذ هاشم الايلاف من شيوخ القبائل وزعمائها للمحافظة على قدسية الحرم وحماية الناس الذين كانوا يتعرضون لهجمات رجال الغزو ولصوص البدو والغارقين في الثأر امثال طيء وخثعم وقضاعة . في حين ان هناك قبائل تحترم الكعبة.

ولما كانت قريش راغبة في المزيد من الربح ،وهذا لا يتم الا بالخروج من مكة ، ولا يمكن ذلك والقبائل المحيطة بها تتخطف القرشيين ، فظل القرشيون يعتمدون على ما يأتي اليهم من الحج .ولما نشأ بنو عبد مناف نجحوا في اخذ العرب بالسياسة والمهادنة حتى تمكنوا من السيطرة عليهم .فامنوا الطرق التجارية لسفرهم حيث شاءوا ،فاخذوا الايلاف الذي ذكره القرآن[56] .

وذكر الزبير بن بكار معلومات مهمة عن الحالة الاجتماعية والاقتصادية في مكة قبل الاسلام . تشير هذه المعلومات الى ان القوافل التجارية قبل ايجاد هاشم للايلاف كان يبيعها افراد مما يعرضها للسلب والنهب. وكان التجار معرضون لخسارة كل شيء عند هجوم قطاع الطرق او القبائل المعادية على القافلة . وكان التجار ربما بسبب تعرض القبائل او قطاع الطرق لتجارتهم يخسرون كل اموالهم التي اشتروها بكل رأس مالهم . فكان الايلاف علاجاً لهذه الظاهرة .

لقد عمل هاشم على ضم الفقراء الى مشروع القوافل التجارية وبذلك فقد اعطى الفقير بعض الحصص من الارباح مكافاة له لعمله او بسبب استثماره رأس ماله الصغير .وقد ظهر صدى هذا الاجراء في ابيات مطرود بن كعب[57]

والخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي

اصبح المثل الاعلى في مجتمع ما قبل الاسلام هو مخالطة الفقير مع الغني ، وتقديم المساعدات للفقراء والمعوزين :– فعلى سبيل المثال اعتاد حكيم بن حزام ان يخرج الى اليمن والشام في الرحلتين ،وكان يربح كثيراً فيعود على الفقراء من بني قومه . وكان يريد من ذلك ثراء الاموال والمحبة في العشيرة[58] .وقد اعتق قبل الاسلام مئة رقبة وحمل مئة بعير تحنث بها [59].وقدم مساعدات غذائية لبني هاشم عندما حصرهم مشركو قريش في الشعب ،حيث كانت "تأتيه العير تحمل الحنطة من الشام فيقبلها الشعب ثم يضرب اعجازها فتدخل عليهم فيأخذون ما عليها من حنطة"[60].

كان تنظيم الدفاع من اهل مكة ضد قطاع الطرق وهجوم القبائل من النتائج المهمة للايلاف .لقد توصل هاشم الى هذا لانه شارك في تجارته رؤوس القبائل العربية حيث عينت لهم ارباحاً .وفي رواية اخرى ان هاشماً فرض على رؤوس القبائل مبلغاً من المال واستعمل هذا المبلغ لتنظيم الدفاع عن مكة[61].ويبدو ان الرواية الاولى كانت قد حصلت في ظرف والثانية في ظرف اخر.

امتد تأثير الايلاف الى مختلف القبائل العربية ،روى اليعقوبي :–"كانت قريش بعد موت هاشم خائفة من تسلط البدو" مما يدل على ان اتفاقيات الايلاف لم تكن في الواقع قد نفذت كلها . وخشية قريش من عدم التزام بعض القبائل ببنود الايلاف ، لكن نشاط ابنائه الاربعة اضافة الى ما خصص من ارباح لرؤساء القبائل جعلهم يلتزمون بتعهداتهم حول الايلاف.

وقد تقوى مركز مكة التجاري بعد ايجاد الايلاف ،فقد نشطت التجارة فيها واصبحت مركزاً جيداً لتجارة المرور ،بعد ان كانت مركزاً صغيراً لتوزيع البضائع على القبائل البدوية المجاورة . فتوسعت تجارة مكة واشترك فيها الاغنياء والفقراء واضحت القوافل التجارية مشروعاً مشتركاً . فان ارسل تاجر قافلة تجارية خاصة به سارع التجار الاخرون في استثمار اموالهم في هذه القافلة[62] .ونشأ بين المكيين وعي اجتماعي ونزعة انسانية نبيلة حيث كانوا :–" يتفحصون عن حالة الفقراء ويسدون خلة المحاويج "[63].ثم توسع هذا الاتجاه حتى غدا مبدأ اجتماعياً ،روى الديار بكري ان اهل مكة كانوا في حالة فقر حتى جمعهم هاشم بأرسال القوافل الى سوريا واليمن ودرجوا على تقسيم ارباحهم بين الاغنياء والفقراء حتى اصبح الفقير مثل الغني [64].وقد وصف ابن الزبعرى السهمي مساعدة الفقراء والمعوزين في مكة في ابيات من الشعر[65]:

قل للذي طلب السماحة والندى   هلا مررت بال عبد مناف

- - - -

الرائشين وليس يوجد رائش والقائمين هم الاضياف

والخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي

والقائلين لكل وعد صادق والراحلين برحلة الايلاف

وقال حسان بن ثابت مادحاً قوماً من اهل مكة(66):–

الملحقين فقيرهم بغنيهم والمشفقين على اليتيم الرمل

وجاء في ديوان حسان(67):–

والخالطين لجينهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقر

وقال مطرود بن كعب الخزاعي راثياً عبد المطلب جد الرسول (ص)(68):–

يا ايها الرجل المحول رحله ألا نزلت بال عبد مناف

هبلتك امك لو نزلت بهم منعوك من عدم ومن اقراضِ

الخالطين فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي

وبسبب رجال الايلاف رفع الله قريشاً ،وجعل فقيرهم غنياً(69) وقد صاحب ابرام اتفاقيات الايلاف تحسن في حالة مكة الداخلية ،وتطور خدمات الراحة للحجاج ،لتنافس اشراف مكة في تقديم هذه الخدمات . فقد روي ان هاشماً كان يطعم الحجاج في كل موسم (70).وكان عبد المطلب يجهز الحجاج بالماء العذب (71) وحفر بئر زمزم لتزويد الحجاج بالماء (72).وكان عبد المطلب يمزج ماء زمزم بالزبيب ويعطي الحجاج الحليب مع العسل(73). وتنافس اشراف مكة في حفر الابار وتوفير ماء الشرب للحجاج (74). فقد روي ان ابا امية بن المغيرة وابا وداعة السهمي قد اعطيا الحجاج العسل(75).وان سويد بن هرسي اول من سقى الحجاج بالحليب(76). وهذا يعني ان الكثير من الجهود كانت قد بذلت لزيادة هيبة مكة ، وتوفير الامن للحجاج ،وقد وفرت الكثير من التسهيلات للحجاج القادمين الى مكة.

كان التجار القادمون من الحجاز واليمن يتخفرون بقريش طالما يسيرون في بلاد مضر .ولم يتضايق التجار من حلفاء مضر . ولم تكن كلب تضايقهم بسبب حلفها مع تميم (77) وكذلك كانت طيء لاتضايقهم لحلفها مع اسد .وتوضح العبارات التالية موقف القبائل من قريش ،روى الكلاعي كانت مضر تقول (78):–"قضت عنا قريش مذمة ما اورثنا اسماعيل من الدين" وقد شرح الكلاعي العبارة بقولة "كانوا على ارث من دين ابراهيم من قرى الضيف ورفد الحجاج وتعظيم الحرم ومنعه من

البغي فيه والالحاد وقمع الظالم" ان الفقرة التي تبدأ من قرى هي شرح لـ"ارث من دين ابراهيم واسماعيل" .وقد روى المرزوقي هذا الخبر مع اختلافات مهمة[79].

ان عبارة بلاد مضر التي ذكرها ابن حبيب تعني الطريق التجاري الموصل من مكة الى الحزم [80] الذي كان ضمن اراضي قبائل المضريه، في حين كان الحزن نفسه تابعاً لبني تميم [81] .وقد ظهر تحالفان قبليان لمضر مرتبطان بمكة هما اسد وتميم اي حلف تميم وكلب(قضاعة) وحلف طيء واسد (القحطانية) سهل على قريش ارسال قوافلها التجارية في هذا الطريق بكل امن وحرية في حين ان اغلبية هاتين القبيلتين (طيء وكلب) كانتا قبل الايلاف لا تحترما قداسة مكة والاشهر الحرم . ولذا فقد كانا اشد خطورة على مكة. وروى المرزوقي عن طيء بعد الايلاف :-"وعند وصول اراضي طيء كان التجار يعطونهم شيئاً وكانت (طيء) تقودهم بالاتجاه الذي يريدونه" [82].ان ذلك يعطي صورة عن اسلوب تجار مكة في العمل في منطقة مكة والحزن.

وقد تقوى الشعور مع مكة عن طريق المحالفات القائمة على المصاهرة بين ابرز رجال مكة ومختلف القبائل العربية ؛ فقد صاهر رجال من قريش قوماً من تميم ومن بني عامر بن صعصعة ومن يثرب واليمن[83] .

وقد سارت قوافل التجارة الى مركز التجارة في المشقر لحماية قريش ايضاً لمرور الطريق ببلاد مضر .وكان رجل من تميم يدير سوق المشقر[84] .

لقد توسعت تجارة مكة كثيراً ،وامتدت الى مناطق مختلفة وضمنت سلامتها بعد ان كانت قبل الايلاف لا تعدو مكة ،فقد روي ان العباس كان حاضراً حين ضربوا ابا ذر في مكة بعد ان اعتنق الاسلام ، فلام العباس قومه قائلاً :-" ويلكم تقتلون رجلاً من غفار ومتجركم ومسيركم على غفار ؟ فأخلوا سبيله"[85].

ونجح ثمامة بقطع وصول الحبوب والمواد الغذائية من اليمامة الى مكة بعد ان حاصرها الرسول(ص)[86].وافزع سعد بن معاذ ابا جهل ان هو منعه من الطواف حول الكعبة ،سيقطع تجارته مع سوريا [87]ان هذا يشير الى مدى توسع تأثير الايلاف ونجاحه والتزام مختلف القبائل في مختلف انحاء جزيرة العرب ببنودة . واستعدادها لمعاملة قريش بالمثل ان بدر من قريش ما يزعج هذه القبائل ويثير حفيضتها.

لقد تمكنت مكة من السيطرة على نقل البضائع بين الشرق والغرب ، وجنوا من ذلك ثروة كبيرة لحيادهم بالنسبة للصراع الدولي بين الفرس والبزينطيين ذلك الصراع الذي شمل اجزاء كثيرة من جزيرة العرب واليمن والمناذرة والغساسنة . وتمكنوا من مسالمة القوى المتصارعة ،فاستفادوا من هذا الموقف الحيادي بان مسكوا بزمام التجارة بين الشرق والغرب[88] .

لقد امن تجار قريش مما يخاف منه من لم يكن من اهل الحرم من الغارات والحروب والقتال والامور التي كان العرب يخاف بعضها من بعض ،حيث اصبح اهل مكة تجاراً يتعاودون ذلك شتاءاً وصيفاً امنين في العرب في حين كانت بقية العرب يغير بعضها على بعض، ولا يستطيعون من الخوف حتى اذا كان الرجل منهم ليصاب في حي من احياء العرب .واذا قيل حرمي خلي سبيله وماله تعظيماً لذلك . ولذا فان تجار قريش قد امنوا من السلب والنهب والخوف لمكان الحرم [89]

لقد اخصبت قريش واتاها الخير من البلاد السافلة والعالية وحسنت حالها وطاب عيشها . وقد عبر عن ذلك الحارث بن حنش وهو خال هاشم والمطلب وعبد شمس فقال[90] :

ان اخي هاشماً ليس اخا واحدٍ الاخذ الايلاف والقائم للقاعد

وأشرك هاشم في تجارته رؤوس القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والعباهلة باليمن واليكسوم من بلاد الحبشة ، وملوك الروم بالشام ، وجعل لهم معه ربحاً فيما يربح ،وساق لهم ابلاً مع ابله فكفاهم مئونة الاسفار على ان يكفوه شر الاعداء في طريقه ومنصرفه فكان ذلك صلاحاً عاماً للفريقين ،وكان المقيم رابحاً والمسافر محفوضاً[91] .

لقد فضلت هذه القبائل والممالك الاشتراك في التجارة مع قريش ،ولان ارباحهم اكثر اسقراراً في تعاونهم مع قريش ،وكان في مقدورهم اقامة علاقات طيبة مع قريش ،وقد نجحوا في ذلك حقاً .وكان اهل مكة يرحبون بالتجار ،فكانوا يدخلون مكة من غير خوف . يدخلونها وهم انداد يستطيعون التفاوض على قدم المساواة على خلاف موقفهم مع الحيرة فقد كان موقف الذليل الخاضع[92].

وقد اصبح القرشيون اسياد الاقتصاد في غرب جزيرة العرب ؛لبراعتهم في امور المال وحيازهم الاماكن المقدسة ثم امتدت سيادتهم حتى على شرق جزيرة العرب ، حيث توسع حجم تجارتهم في هذه المناطق[93].

صاحب ازدهار تجارة مكة اعظم مظاهر العمرة والحج بهجةً ؛ وهو انعقاد الاسواق السنوية المعاصرة في مكة في موسم الحج ،واهتم القرشيون بالسياسة والتجارة في العالم القديم انذاك ؛ فدرسوا علاقات الفرس بالروم والاحباش واليمن . وظهر من بين القرشيين افراد متمرسون في التجارة واصحاب تجارب وخبرة عالية في الترويج واساليب الحساب التجاري والدراية بالموازين والمقاييس العالمية والنقد الاجنبي وغيرها من الامور التي يصعب على الجامعات والمعاهد ان تزودها لطلابها في الوقت الحاضر[94].

● الهوامش:

(١) الازرقي ،ابو الوليد محمد بن عبد الله،اخبار مكة (مكة، 1352هـ) ص36 ، الشريف، احمد ،مكة والمدينة (القاهره،1965م) ص103 .

(٢) الخربوطلي ،علي حسين ،تاريخ الكعبة (بيروت،1976)ص45 .

(٣) الزبير بن بكار ،ابو عبد الله بن ابي مصعب ،جمهرة نسب قريش ،ج 1 (القاهره،1381هـ) ص ص354 ، 376 .

3أ–ابن سعد ،ابو عبد الله محمد ،الطبقات الكبرى ،بيروت ،ص 70 ،ابن هشام ،ابو محمد عبد الملك ، السيرة (القاهره،1955) ص125 .

(٤) الخربوطلي ، المصدر السابق ،ص45 .

(٥) المصدر نفسه،ص ص 43 ، 61 .

(٦) ابن حبيب،ابو جعفر محمد ،المحبر (حيدر اباد الدكن،1942م) ص178 .

(٧) ابن منظور ،لسان العرب ،مادة(حمس) .

(٨) ابن سعد ،ابو عبد الله محمد ،الطبقات الكبرى ،ج 1 (بيروت،1960) ص72 ، الكلاعي،ابو الربيع سليمان بن سالم ،الاكتفاء ،ج1 (القاهره،1968) ص272 ، الدينوري ،ابو محمد عبد الله ،المعارف (بيروت، 1970) ص269 ،ابن منظور ، لسان العرب ،مادة(حمس) .

(٩) كستر ،م.ج.،الحيرة ومكة ،ترجمة يحيى الجبوري (بغداد،1976) ص71 .

(١٠) الكلاعي ،المصدر السابق،ج1 ،ص210 .

(١١) ابن هشام ،ابو محمد عبد الملك ،السيرة ،ج1 (القاهره،1936) ص216 .

(١٢) الكلاعي ،المصدر السابق ،ص 210 ،ابن الاثير ،ابو الحسن علي بن ابي الكرم ، الكامل،ج 1 ،(بيروت، 1965) ص452 .

(١٣) ابن حبيب ،المصدر السابق،ص 179 ،الازرقي ،ابو الوليد محمد بن عبد الله ،اخبار مكة ،ج 1 (دار الاندلس) ص181 .ابن الاثير ،المصدر السابق،ج1 ،ص452 ،الجاحظ ،عمرو بن بحر بن محبوب ،البلدان (بغداد،1970)ص 472 .

(١٤) ابن منظور،المصدر السابق ،مادة(حمس)،الدينوري ،المصدر السابق،ص269

(١٥) ابن الاثير ،المصدر السابق ،ج1 ،ص452 .

(١٦) الدينوري،المصدر السابق،ص269 .

(١٧) 99/2 .

(١٨) 3231/7 .

18أ- ابن حبيب ، المصدر السابق،ص178 .

18ب- المصدر نفسه والصفحات .

(١٩) ابن دريد ،ابو بكر محمد بن الحسن ،الاشتقاق ،(القاهره، 1958) ص468 .

(٢٠) الازرقي،المصدر السابق،ج 1 ،ص184 ،والاشهر الحرم هي :-محرم ، رجب، ذي القعدة ، وذي الحجة . انظر المسعودي، مروج الذهب ،ج2 ،ص189 .

(٢١) الجاحظ ، المصدر السابق ،ص 472 .

(٢٢) الجاحظ ،المصدر نفسه ،ص471 .

(٢٣) ابن منظور ،المصدر السابق ،مادة(حمس) .

(٢٤) المصدر نفسه ، مادة(ايلاف) .

(٢٥) مادة (ايلاف).

(٢٦) مادة (ايلاف).

(٢٧) ج1 ،ص48 .

(٢٨) ج1 ، ص40 .

(٢٩) المصدر السابق، ص199 .

29أ-القالي، ابو علي اسماعيل بن القاسم ،الامالي ،ج2 ، ص158 .

(٣٠) ابن حبيب ،محمد ، المنمق (دمشق،1957) ص251 .ويسميها في المحبر باسم العهود .انظر صفحة 162.

(٣١) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج15 (القاهره،1967) ص211 .

(٣٢) ابو حيان ،محمد بن يوسف الاندلسي ،البحر المحيط ،ج8 (القاهره،1328هـ) ص515 .

(٣٣) الطبري ، محمد بن جرير ،تفسير القرآن الكريم ،ج30 (القاهره،1968) ص170 .

(٣٤) المصدر نفسة، ج9 ،ص305 .

(٣٥) المصدر نفسه ،ج9 ،ص 306 .

(٣٦) ابن ابي الحديد ،المصدر السابق ،ج 15 ،ص 202 .وروى الجاحظ الرواية نفسها ،انظر رسائل الجاحظ (القاهره،1933) ص70 .

(٣٧) الثعالبي، ابو منصور عبد الملك ،ثمار القلوب (القاهره،1908) ص89 .

(٣٨) المصدر نفسه ،ج1 ،ص59 .

(٣٩) تاريخ الطبري،ج2 ،ص252 .

(٤٠) العباسي ،عبد الرحيم بن احمد ،معاهد التنصيص ،ج1، (القاهره،1316هـ) ص95 .

(٤١) المسعودي،ابو الحسن علي بن الحسين ،مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج2 ، (بيروت،1965) ص33 .

(٤٢) المصدر السابق، ص147 .

(٤٣) الدينوري ،ابن قتيبة ،ابو محمد عبد الله بن مسلم ، المعارف (بيروت، 1970) ص269 . ويرى الدكتور جواد علي انهم غير عرب اذ استوردوا من اسواق النخلة في ساحل افريقيا وجزيرة العرب وانيطت بهم الحراسة . فكانوا حراساً لكبار التجار يحمون قوافلهم ويصدون عنهم غارات الاعراب وقطاع الطرق . كما كانوا خدماً يخدمون سادات هذه القبائل ويهيئون لهم طعامهم وشرابهم .انظر تاريخ العرب في الاسلام (بغداد،1961) ص52 .

(٤٤) ابن حبيب،المحبر ،ص142 ،الطبري ،تاريخ الطبري، ج2 ،ص252 .لسان العرب مادة (ألف) .

(٤٥) الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب بن عثمان ،الحيوان ،ج7 (القاهره،1945) ص216 .

(٤٦) الذهبي ،شمس الدين احمد بن محمد ،سر اعلام النبلاء ،ج2 (القاهره،1956) ص 34.

(٤٧) الجاحظ ، المصدر السابق، ج7 ،ص216 .

(٤٨) اليعقوبي ،المصدر السابق ،ج2 ، ص ص13-14 ، الكلاعي ،المصدر السابق، ج1 ،ص 89 .

(٤٩) الكلاعي، المصدر السابق،ج1 ، ص88 .

(٥٠) الحلبي ، المصدر السابق، ج1 ، ص146 ،ابن كثير ،المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 291-292

50أ– الجاحظ، رسائل الجاحظ ،ص.71

50ب– انظر اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص292 .

50ج– Watt. Mohammad at Mecca (Oxford,1953) pp 6. 13--14

50ء– ابن هشام ،المصدر السابق، ج1 ، ص146 ،ابن كثير، المصدر السابق،ج2 ، ص293.

(٥١) الحلبي،المصدر السابق، ج1 ،ص157 .

(٥٢) المصدر السابق ، ج1 ، ص156 .

(٥٣) ابن سعد ، الطبقات ،ج 1 ،ص129 ، الجاحظ ،رسائل الجاحظ ،ص 72 ، ابن كثير ،المصدر السابق ، ج2 ، ص292 .

(٥٤) الحلبي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص146 .

(٥٥) الكلاعي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص89 .

(٥٦) ابو سعيد ، علي بن موسى بن عبد الملك الاندلسي ، نشوة الطرب ،مخطوط توبنين ،الورقة 97 .

(٥٧) ابن العربي ،ابو بكر محمد بن عبد الله ،محاضرات الابرار ،ج 2 (القاهره،1906) ص 119 .وبنفس المعنى انظر:- البلاذري ، انساب الاشراف، ج 1 ، ص58 ،اليعقوبي ، المصدر السابق، ج 1 ، ص202 ،القالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم ،الامالي ،ج 2 ، ص158 ،ابن شرف ،رسائل الانتقاد ضمن رسائل البلغاء ،طبعة محمد كرد علي (القاهره،1946) ص334 .

(٥٨) الزبير بن بكار ،المصدر السابق ، ج1 ،ص367 .

(٥٩) المصدر نفسه ،ص 375 .

(٦٠) المصدر نفسه، ص355 .

(٦١) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ص70 .

(٦٢) كستر ، المصدر السابق ،ص 53 .

(٦٣) القمي ، غرائب القرآن ،على هامش تفسير الطبري ،ج30 (بولاق ،1929) ص169.

(٦٤) الديار بكري ،حسين بن محمد ،تاريخ الخميس ،ج1 (بيروت،لات) ص156 .

(٦٥) المصدر نفسه ،ج1 ، ص ص 157.156 ،وانظر القالي ،المصدر السابق، ص241.

(٦٦) ابن شرف ،المصدر السابق، ص334 .

(٦٧) ديوان حسان (القاهره،1929) ،ص73 .

(٦٨) القالي ،المصدر السابق، ج1 ،ص241 ، الطبري ،تاريخ الطبري ، ج2 ، ص252 .

(٦٩) ابن حبيب ،المحبر ،ص162 .

(٧٠) البلاذري ،انساب الاشراف ،ج1 (القاهره، 1959) ص61 ،الازرقي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص67.

(٧١) المسعودي ،المصدر السابق ، ج2 ، ص46 .

(٧٢) المصدر نفسه ،ج2 ، ص46 .

(٧٣) الازرقي ، المصدر السابق، ج2 ، ص70 .

(٧٤) كستر ،المصدر السابق ، ص53 .

(٧٥) ابن حبيب ،المصدر السابق،ص177 .

(٧٦) مصعب الزبيري ، المصدر السابق، ص342 .

(٧٧) كستر ، المصدر السابق ، ص56 ،وكانت تميم حلفاً مع قريش.

(٧٨) الاكتفاء ،ج1 ، ص150 .راجع المرزوقي ،احمد بن محمد بن الحسن ،الازمنة والامكنة ،ج 2 (حيدر اباد ،1332هـ) ص162 .

(٧٩) المصدر السابق ، ج2 ، ص162 .

(٨٠) الحموي ،ياقوت ،معجم البلدان ،مادة (حزن) .

(٨١) كستر ، المصدر السابق، ص58 .

(٨٢) المصدر السابق، ج2 ، ص162 .

(٨٣) المرزوقي ،احمد بن محمد بن الحسن ، الازمنة والامكنة ،ج 2 ، (حيدر اباد، 1332) ص162 ،الزبير بن بكار ،ابو عبد الله بن ابي مصعب ، نسب قريش ، تحقيق بروفنسال ،(القاهره،1953) ص ص 16.15.14 ،علي ، جواد ،المفصل ، ج2 ، ص306 .

(٨٤) ابن حبيب ،المصدر السابق، ص262 .

(٨٥) الذهبي ،شمس الدين محمد بن احمد ،سيرة اعلام النبلاء ،ج2 (القاهره،1956) ص73 .

(٨٦) الحلبي ، علي بن برهان الدين ،انسان العيون ، ج3 ، ص198 ،ابن الجوزي ، صفة الصفوة ،ج 1 ، (حيدر اباد،1355هـ) ص 37 . وانظر بنفس المعنى الواقدي ، مغازي الواقدي ،ج1 (اوكسفورد،1966) ص35 .

(٨٧) ابن العربي ، المصدر السابق، ج2 ،ص266 .

(٨٨) الشريف احمد ،مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول(ص) ،(القاهره، 1965) ص143 ، الخربوطلي ،المصدر السابق ، ص62 .

(٨٩) الطبري، تفسير الطبري ، ج30 ، ص309 .

(٩٠) الجاحظ ، رسائل الجاحظ ، ص70 .

(٩١) المصدر نفسه والصفحة .

(٩٢) كستر ، المصدر السابق ، ص49 .

(٩٣) E.R Wolf ,The Social Organization of Mecca and Origins of Islam's (South Western Journal of Anthropology) pp330—337 .

(٩٤) الخربوطلي ، علي حسين ، المصدر السابق، ص59 .

•المصادر[1] والمراجع:

أ/ المصادر

1-ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة ،ج15 (القاهرة،1967) .

2-ابن الاثير ،ابو الحسن علي ابن ابي الكرم ،الكامل في التاريخ ، ج1 (بيروت،1965) .

3-الازرقي ،ابو الوليد محمد بن عبد الله ،اخبار مكة المكرمة (مكة،1352هـ) .

4-البلاذري ،ابو الحسن احمد بن يحيى ،انساب الاشراف ،ج1 (القاهرة.1959) .

5-الثعالبي ،ابو منصور عبد الملك ،ثمار القلوب ،(القاهرة،1908) .

6-الجاحظ ،عمرو بن بحر بن محبوب أ)الحيوان ،ج7 ،(القاهرة،1945)

ب)رسائل الجاحظ ،(القاهرة،1933)

ج)البلدان ،(بيروت،لات)

7-ابن حبيب ،ابو جعفر محمد ،أ)المحبر ،(حيدر اباد الدكن،1942)

ب)المنمق (دمشق،1957)
8-ابو حيان ،محمد بن يوسف الاندلسي ،البحر المحيط ،ج8 ،(القاهرة،1328هـ) .
9-ابن دريد ،ابو بكر محمد بن الحسن ،الاشتقاق (القاهرة،1958) .
10-الديار بكري ،حسين بن محمد ،تاريخ الخميس ،ج1 ،(بيروت،لات) .
11-الدينوري ،ابن قتيبة ابو محمد ،المعارف (بيروت،1970) .
(1)استبعدت كلمة (ابن) و (ابو) عند ترتيب اسماء المؤلفين الا اذا كانت تشكل الاسم الاصلي للمؤلف .
12-الذهبي ،شمس الدين احمد بن محمد ،سيرة اعلام النبلاء ،ج2 ،(القاهرة،1956) .
13-الزبير بن بكار ،ابو عبد الله ابي مصعب ،نسب قريش ،تحقيق بروفنسال (القاهرة،1953) .
14-ابن سعد ،ابو عبد الله محمد ،الطبقات الكبرى ،(بيروت) .
15-ابو سعيد ،علي بن موسى بن عبد الملك ،نشوة الطرب ،مخطوط توبلين الورقة 97 .
16-ابن شرف ،رسائل الانتقاد ،ضمن رسائل البلغاء ،طبعة محمد كرد علي (القاهرة،1946) .
17-الطبري ،محمد بن جرير أ)تفسير القرآن الكريم،ج30 (القاهرة،1968) .
ب)تاريخ الطبري ،ج2،(بيروت ،1968)
18-العباسي ،عبد الرحيم بن احمد ،معاهد التنصيص ،ج1 ،(القاهرة،1316هـ) .
19-ابن عربي ،ابو بكر محمد بن عبد الله ،محاضرات الابرار ،ج2 (القاهرة،1906) .
20- القالي ،ابو علي اسماعيل ، كتاب الامالي ،ج2 (القاهرة،1953).
21-القمي ،غرائب القرآن ،على هامش تفسير الطبري ،ج30 (بولاق،1929) .
22-الكلاعي ،ابو الربيع سليمان ،الاكتفاء ،ج1 (القاهرة،1968) .
23-المرزوقي ،احمد بن محمد بن الحسن ،الازمنة والامكنة (حيدر اباد الدكن،1332 هـ)
24-المسعودي ،ابو الحسن علي بن الحسين ،مروج الذهب ومعادن الجوهر ،ج2 (بيروت ،1956) .
25-ابن منظور ،لسان العرب (بيروت،لات).
26-ابن هشام ،محمد بن عبد الملك ،السيرة ،ج1 (القاهرة،1936) .
27-الواقدي ،محمد بن عمر ،مغازي الواقدي ،ج1 ،(اوكسفورد،1966) .

ب/المراجع العربية

1-جواد ،علي ، أ)المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ،ج2 (بيروت،1968)
ب)تاريخ العرب في الاسلام(بغداد،1961) .
2-حسان بن ثابت ،ديوان حسان بن ثابت (القاهرة،1929) .
3-الخربوطلي ،علي حسين ،تاريخ الكعبة (بيروت،1976) .
4-الشريف ،احمد ،مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (القاهرة،1965) .

جـ/المراجع الاجنبية

1-M.watt ,Mohammad at Mecca (oxford ,1953)

2-E.R,Wolf ,the social organization of Mecca and origins of Islam (south western journal of Anthropology,1951)

Quraish Trade Role in The West of Arabian Peninsula in pre-Islamic Time

Proff. Dr. Jassim Sagban Ali
History Dept.
Baghdad University
Education College for women

The system of Humis ,Fudhul alliance and Elaf were social and economic foundation who completed each others. That foundations were appeared as economic unity .this unity settled the way and organized the minds for political unity which had been achieved before Islam.

The Elaf mentioned In Quran ,so it means that it had its importance in the Arab's life in pre-Islamic times . The big powers recognized the importance of the Arab trade so they gave the security (AMAN) and the preserve (ALUSUM) to the merchants .The Arabs proved that they could achieve security and the settlement in their country.

There were humanistic attitude in society of Mecca ,that decided to feed poor and find job for them.

It is necessary to pay a new attention for some historical relations which were about the history of Arab in pre-Islamic times.These relations were written in Islamic times and filled by negative Islamic relations without attention for its positive side.

The Elaf was not created by a new circumstances ,it was studied in details before that .the system of Humis was prefaced the Elaf .